الأمويون أشعلوه ناراً موقدة كانت فى نزعتها رجعة جاهلية عاصفة فى ظل الدولة الإسلامية »[1] .

وإذا كانت هذه هي النزعة الأموية في دفع النقائض إلى الردة الجاهلية ، فقد كانت النقائض الإسلامية في نزعتها نقائض إسلامية خالصة فى سبيل الدين الجديد ومن أجل الدعوة السامية التى دعا إليها ، وأما صراع النقائض المعارضة لها فلم يكن إلا صراعاً مؤقتاً تتعرض له كل دعوة إصلاحية جديدة كان صراعاً يكشف عن علو جانب الحق على جانب الباطل . . . كان صراعاً يشبه الغيم الذى يمر عابراً فى الأفق لتدرك الأبصار بعده قوة الضوء ونفاذ شعاعه ، أو هو كاللون الخافت تحركه ريشة الفنان لتبرز من حوله الملامح البراقة القوية . . . ومن هنا كان هذا الصراع أمراً طبيعياً يصور فيه الأدب نمو الحياة الإسلامية فى وجه الحياة الجاهلية التى كانت فى طريقها إلى الانكماش والضمور . ولهذا تتميز هـذه النقائض الإسلامية بطابعها المتميز لا من ناحية صورتها المخالفة لصورة النقائض الجاهلية فحسب بل من ناحية صورتها المخالفة للنقائض الأموية أيضاً ، تلك النقائض التى أرادت أن تحيي من رماد الجاهلية القديم ناراً موقدة — كما رأى الباحث — إلى جانب ما استلهمته من جوانب الحياة الأخرى فى العصر الأموى . وعلى ذلك فإنه بقدر ما يكون من أوجه التشابه بين النقائض الجاهلية والنقائض الأموية على بعد ما بين العصرين زمناً بقدر ما تكون أوجه الخلاف بين النقائض الإسلامية وبين ما سبقها وما لحقها من هـذين العصرين القريبين فى الطريق الذى سار فيه هـذا الفن الشعرى الكبير الذى شغل قطاعاً هاماً فى الأدب العربى على مدى العصور الثلاثة القديمة .

إن الأصل فى ذلك الشبه والخلاف إنما هو فى هذا الروح الذى سرى فى هذه النقائض بأنواعها ، ومضى يحركها ، ومع هـذا الروح أيضاً تتضح

---

(١) تاريخ النقائض ص ٢ .